

الدرس الرابع

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٤﴾ أَدْخُلُوها بِسَلَامٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَتَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٥٦﴾ لَا يَمْسُهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ * نَبِيٌّ عَبْدِي أَيُّ أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٨﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٩﴾ (الحجر: ٤٥-٥٠)

المقابلة بين أهل النار وأهل الجنة :

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ ، بعد أن ذكر الله أهل النار ذكر أهل الجنة على طريقة القرآن ، إنه يَقْرِن الوعيد بالوعد ، والترهيب بالترغيب ، والندارة والبشارة ، وهكذا .

فبعد أن تحدّث عن أهل جهنم لِيُخَوِّفَنَا من مصيرهم ، ذَكَرَ أهلَ الْجَنَّةِ لِيُحَبِّبَنَا في عملهم وسلوكهم ، لنسلك مسلكهم ونقتدي بهم .

أساس التقوى وثمرتها ومراتبها :

من هم المتّقون؟ المتّقون هم الموصوفون بتقوى الله عزّ وجلّ . وأساس التّقوى : خشية الله . ولذلك أشار النبيّ عليه الصلاة والسلام إلى صدره ، وقال ثلاث مرات : «التقوى ها هنا»^(١) . تقوى القلوب كما ذكر القرآن ، أصلها في القلب ، وثمرتها على الجوارح بأداء الفرائض والنوافل ، واجتناب المحرّمات ، ﴿ ذَٰلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ (الحج: ٣٢) ، ويرتقى الإنسان بتقواه ،

(١) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٦٤) ، وأحمد (٨٧٢٢) ، عن أبي هريرة .

كما جاء في بعض الأحاديث : « لا يبلغ العبدُ أن يكون من المتقين ، حتى يدع ما لا بأس به ، حذراً لما به البأس »^(١) . فالجنة لا يدخلها إلا المتقون .

وقد ذكر الله سبحانه المتقين في آيات كثيرة ، في أوائل القرآن ، في أوائل سورة البقرة : ﴿ التَّوْبَةُ ﴾ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿ (البقرة: ١-٣) .

وفي سورة آل عمران يقول : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ مَنْ هُمْ؟

﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيرِ وَالضَّرَّاءِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿ (آل عمران: ١٣٤، ١٣٥) .

المتقون ليسوا معصومين :

المتقون ليسوا معصومين من الخطأ والخطيئة ، ليسوا أنبياءً مقربين ، ولا ملائكة مطهرين ، هم بشرٌ من البشر ، وقد يقع المتقي في المعصية ، والفرق بينه وبين غيره : أنه سريعُ اليقظة ، وسريعُ الأوبة إلى الله عزَّ وجلَّ ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَٰئِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ ﴿٤﴾ وَإِخْوَانُهُمْ ﴿ ، أي : إخوان الشياطين ﴿ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿ (الأعراف: ٢٠٢) ، ثم يتذكر جلال الله ، ويتذكر اطلاع الله عليه ، ويتذكر حساب الله ،

(١) رواه الترمذي في صفة القيامة (٢٤٥١) وقال : حسن غريب ، وابن ماجه في الزهد (٤٢١٥) ، والحاكم في معرفة الصحابة (٣١٩/٤) وصحح إسناده ووافقه الذهبي ، والبيهقي في البيوع (٣٣٥/٥) ، وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي (٤٣٥) ، عن عطية السعدي .

ويتذكر الجنة والنار ، ﴿ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾ ، أبصر الغاية ، وأبصر الطريق ، فامتنع عن الحرام ، وامتنع من الكسل عن الفرائض .

المتقون ليسوا معصومين ، ولكن كما قال الله تعالى : ﴿ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً - ارتكبوا كبيرة - أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ - ارتكبوا صغيرة - ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ . . . ﴾ (آل عمران: ١٣٥).

هل هناك أحد يغفر الذنوب إلا الله؟ مَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ؟ ﴿ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿ أُولَٰئِكَ جَزَاءُ هُمْ مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ (آل عمران: ١٣٥، ١٣٦).

جَنَاتِ الْمُتَّقِينَ :

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾^(١)

يوجد أكثر من جنة ، سورة الرحمن ذكرت لنا أربع جنات . ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ . . . وَمِنْ دُونِهَا جَنَّاتٍ ﴾ (الرحمن: ٤٦-٦٢) ، والرسول ﷺ قال لأم حارثة : « يا أم حارثة إنها جنان في الجنة »^(٢) . حينما أصيب ولدها في غزوة بدر ، جاءه سهم طائش من مشرك فقتله ، فجاءت أمه إلى النبي ﷺ ، فقالت : يا رسول الله ، قد عرفت منزلة حارثة مني ، فإن يكن في الجنة أصبر وأحتسب ، وإن تك الأخرى ترى ما أصنع . فقال : « ويحك ، أو هبّلت ، أو جنة واحدة هي؟! »

(١) (جنات) جمع جنة ، وهي ما يحتوي على أشجار وثمار وزروع وأنهار وقصور ، مع كل ما تشتهيهِ الأنفس وتلذذُ الأعين . وجاء لفظ (جنات) مجموعاً لأن دار النعيم فيها جنان متعدّدة باعتبار أقسامها ، ويجمعها جميعاً اسم (جنة) باعتبار أنها كلها بمثابة دار للنعيم . والعيون : جمع عين ، وهي ما ينبع من الماء والعسل والخمرة واللبن . والمراد : في مكان تحيط به الجنّات والعيون ، لا أنهم في العيون نفسها . كما قال تعالى في سورة القمر : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴾ (القمر: ٥٤).

(٢) رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٨٠٩) ، عن أنس .

إنها جنان كثيرة ، وإنه في الفردوس الأعلى»^(١) . إنَّ ابنك أصاب الفردوس الأعلى ، فهو من أهل بدر .

العيون والظلال :

ولذلك يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ (الحجر: ٤٥) ، ذكر العيون بالذات ؛ لأنَّ العرب كانت المياه عندهم قليلة ، فالقرآنُ عربيٌّ ويراعي هذا اللسان العربي ، ويراعي البيئة العربية .

وفي آيةٍ أخرى : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلِّلٍ وَعُيُونٍ ﴾ (المرسلات: ٤١) ، والظلال يحتاج إليها في البلاد الحارَّة ، هذه الظلال تحت الشجرة ، كأنَّ الجنةَ في ظلال وعيون .

وهنا يقول : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ ، عيون تتفجَّر من الجنة ، كما ذكر في سورة الرحمن : ﴿ فِيهَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴾ (الرحمن: ٥٠) ، أي : في الجنَّتَيْنِ العلويتين ، والجنَّتَانِ اللتان هما أدنى : ﴿ فِيهَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴾ (الرحمن: ٦٦) .

وفي سورة الإنسان : ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٦٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴾ (الإنسان: ٦٥) .

وفي سورة المطففين : ﴿ وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴾ (المطففين: ٢٧، ٢٨) .

عيونٌ في الجنة يتمتَّعون بها : ﴿ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَجْجِيلاً ﴾ (الإنسان: ١٧) ، ألوان من الشراب غير الأنهار الأخرى : ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّرْبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ (محمد: ١٥) .

(١) رواه البخاري في المغازي (٣٧٦١) ، وأحمد (١٣٧٨٧) ، عن أنس .

استقبال الملائكة للمتقين عند دخول الجنة وسلامهم عليهم :

﴿ أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِنِينَ ﴾^(١)

مَنْ الَّذِي يَقُولُ لَهُمْ : (ادخلوها)؟ الغالب أن القائل الملائكة : ﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

(النحل: ٣٢) .

﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ (الزمر: ٧٣) ، فالذين يستقبلون أهل الجنة هم الملائكة ، ويستقبلونهم مُرحِّبين .

فدخول الجنة ليس دخولاً فقط ، ولكن دخول مع استقبال وترحيب ، يُرْحَبُونَ بهم : ﴿ أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِنِينَ ﴾ .

﴿ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿ (الرعد: ٢٣، ٢٤) .

الملائكة حَوْلَ الإنسان قبل أن يدخل ، وبعد أن يدخل ، يُرْحَبُونَ بداخلي الجنة ، بأهل الجنة : ﴿ أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ﴾ ، من كلِّ آفة ، أو بتحية لأنهم حين يدخلون الجنة ، يُحْيَوْنَ : ﴿ سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ ﴾ (يس: ٥٨) ، سلامٌ من الله ، وسلامٌ من الملائكة : ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿ (الرعد: ٢٣-٢٤) ، ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا ﴾ (مریم: ٦٢) ، ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿ (الواقعة: ٢٥، ٢٦) .

(١) أي : ادخلوها مصحوبين بسلام تحية تكريمية لكم ، وحالة كونكم آمنين بعد دخولها من كلِّ ما يخاف منه ، حتى النقص من بعض ما تحبون من لذات ونعيم متجدد لا ينقطع ولا ينفد .

دخول الجنة بسلام وأمن :

فهم يدخلونها بسلام ، سلام ، أي من الآفات ، أو سلام التحية ، هذا وذاك ، يحيون وهم سالمون من كل آفة وآمنون .

﴿ أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِينٍ ﴾ ، لا خوف بعد اليوم .

أشدُّ ما يَنكِّد على الإنسان حياته الخوف ، ولذلك لما امتنَّ ربنا على قريش قال :
﴿ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴾ (قريش: ٤) ، وشرُّ ما تبتلى به
الجماعات الجوع والخوف : ﴿ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا
يَصْنَعُونَ ﴾ (النحل: ١١٢) .

أما الأمن ، فهو نعمة عظيمة : ﴿ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِينٍ ﴾ (سبأ: ١٨) ،
حينما تلقى يوسف أبويه وإخوته قال لهم : ﴿ أَدْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِينٍ ﴾
(يوسف: ٩٩) . آمنين من كل سوء ، لم يقبض عليكم أحد .

الجنة يدخلها مَنْ يدخلها آمناً من كلِّ سوء ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَا خَوْفٌ
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ، لا يحزنون على ما مضى ، ولا يخافون من مستقبل ،
لا يوجد شيءٌ يُخَوِّفُهُمْ ، علامٌ يخافون؟ فعن النبي ﷺ قال : « ينادي مُنَادٍ : إِنَّ لَكُمْ
أَنْ تَصْحُوا فَلَا تَسْقُمُوا أَبَدًا ، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيُوا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا ، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشْبُوا
فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا ، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَعْمُوا فَلَا تَبْأَسُوا أَبَدًا ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ :
﴿ وَنُودُوا أَنْ تِلْكَمُ الْجَنَّةُ أَوْرَثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (الأعراف: ٤٣) »^(١) . فليس
في الجنة شيءٌ مخوف .

﴿ أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِينٍ ﴾ ، ولذلك تُسَمَّى الجنة دار السلام ، كما قال تعالى :
﴿ هُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (الأنعام: ١٢٧) ، فهي
أمن وسلام من كلِّ شيء .

(١) رواه مسلم في الجنة وصفة نعيمها (٢٨٣٧) ، وأحمد (٨٢٥٨) ، والترمذي في تفسير القرآن (٣٢٤٦) ، عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة .

سلامة صدور أهل الجنة من الغل :

﴿ وَتَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍ ﴾^(١)

من خصائص الجنة ومزاياها : أنه ليس فيها غلٌ ولا حسدٌ ولا كراهية ولا أحقاد ولا ضغائن ، مَنْ دخل الجنة صُفِيَ قلبه من كلِّ شيء ، طَهَّرَهُ اللهُ مِنْ كُلِّ غَلٍ ، حتى الذين تَعَادَوْا فِي الدُّنْيَا ، إِذَا دَخَلُوا الْجَنَّةَ انْتَهَتْ هَذِهِ الْعِدَاوَاتُ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ الْإِخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ (الزخرف: ٦٧) ، الْمُتَّقُونَ لَا عِدَاوَاتَ بَيْنَهُمْ أَبَدًا ، وَأَمَّا الْآخَرُونَ فَيُعَادِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، وَيَكْفُرُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، وَيَلْعَنُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، وَأَمَّا الْمُتَّقُونَ فَهُمْ أَحِبَاءٌ ، إِخْلَاءٌ ، أَصْدِقَاءٌ ، لَا يَزَالُ حُبُّهُمْ مُسْتَمِرًّا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَيَدْخُلُ مَعَهُمُ الْجَنَّةَ ، وَإِذَا كَانَ أَحَدُهُمْ لَهُ مَعَ أَخِيهِ شَيْءٌ فِي الدُّنْيَا ، شَيْءٌ مِنَ الْخِصْمَةِ أَوْ مِنَ النِّزَاعِ ، تَجِدُ صَدْرَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَافِيًّا تَمَامًا ، وَلِذَلِكَ قَالَ : ﴿ وَتَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍ ﴾ .

والغلُّ : الحقد والبغضاء ، نُزِعَ هَذَا مِنْ صَدْرِهِ ، كَمَا قَالَ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ : ﴿ وَتَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾ (الأعراف: ٤٣) ، فَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ دَخَلُوا الْجَنَّةَ يَشْعُرُونَ بِالْحُبِّ الْخَالِصِ .

الجنة دارُ حُبٍّ ، لَيْسَ فِيهَا مَجَالٌ لِبَغْضٍ ، لَيْسَ فِيهَا مَجَالٌ لِمُنَافَسَةٍ ، وَالْجَنَّةُ طَبَعًا دَرَجَاتٌ ، هَلِ الَّذِي فِي دَرَجَةٍ دُنْيَا يَحْسُدُ الَّذِي فِي دَرَجَةٍ أَعْلَى مِنْهُ ، لَوْ كَانَ يَحْسُدُهُ سَتَكُونُ الْحَيَاةُ نَكِدَةً ، لِأَنَّ هُنَاكَ مَنْ هُوَ أَعْلَى مِنْهُ بِكَثِيرٍ ، خِصُوصًا إِذَا كَانَ زَمِيلَهُ فِي الْعَمَلِ ، أَوْ السُّكْنِ أَوْ كَانَ يَنَافِسُهُ فِي الدُّنْيَا ، وَالنِّسَاءُ يَغَارُ بَعْضُهُنَّ مِنْ بَعْضٍ ، لَكِنْ لَا يَوْجَدُ غَيْرَةً وَلَا مُنَافِسَةً وَلَا حَسَدًا فِي الْجَنَّةِ بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ وَتَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾ .

(١) نزع : اقتلع وأزال ومحأ . والصدور : جمع صدر ، وهو محل العواطف والانفعال ، والغل : ما يدخل في الصدور من عداوة ، وضغن ، وحقد ، وحسد ، وغش ، ونحو ذلك .

سلامة صدور الصحابة رضي الله عنهم :

يدخل أهل الجنة الجنة إخواناً ، لما بينهم من محبة وألفة وصفاء قلوب ، انتهت العداوات ، ونسي ما كان بينهم في الدنيا ، وهذا من فضل الله تبارك وتعالى على أهل الجنة ، حتى لا يكدرها شيء من مكدرات الدنيا ، وأول من ينطبق عليهم هذا هم الصحابة رضوان الله عليهم ، وما شَجَرَ بينهم من خلاف ، حتى قاتل بعضهم بعضاً ، يدخلون الجنة إخواناً على سررٍ متقابلين .

دخل أحد أبناء طلحة بن عبيد الله ، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأحد الستة أصحاب الشورى ، دخل على علي رضي الله عنه ، وكان طلحة قد قاتل علياً في معركة الجمل كما نعرف ، فرحّب به عليٌّ وأجلسه بجواره ، وقال له : إني لأرجو أن أكون أنا وأبوك من أهل هذه الآية : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾ .

وكان بعض شيعة الإمام عليٍّ من المتعصبين يجلس بجواره ، فأنكر اثنان منهم هذا الكلام ، وهو : الحارث الأعور ، الهمداني المعروف ، فقال ردّاً على كلام الإمام علي : إن الله أعدل من أن يفعل ذلك ، إننا نقتلهم بأيدينا ، ثم يكونوا معنا في الجنة!! فردّ عليه سيدنا عليٌّ - رضي الله عنه وكرّم الله وجهه - بغلظة ، وقال : اذهب أنت وصاحبك أبعِدْ أرضٍ وأسحقها ، إذا لم أكن أنا وطلحة من أهل هذه الآية ، فلمن تكون هذه الآية^(١)؟

كان من أصحاب رسول الله ﷺ المبشرين بالجنة ، أصحاب المواقف ، الذين شهدوا المشاهد ، وقاتلوا مع رسول الله ﷺ ، وتحت لوائه ، وبايعوه تحت الشجرة ، وأعلن الله رضاه عنهم ، وهم من السابقين الأولين المهاجرين ، الذين قال الله فيهم : ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ ﴾

(١) رواه الحاكم في معرفة الصحابة (٣/٣٧٦) ، وصحح إسناده ، ووافقه الذهبي ، وأحمد في فضائل الصحابة (١٢٩٨) .

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿التوبة: ١٠٠﴾ ، إذا لم أكن أنا وطلحة والزبير من أهل هذه الآية فَمَنْ يكون ، أهل هذه الآية؟! ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ ﴾

مجالس أهل الجنة :

﴿ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾^(١)

يجلسون على السُرر ، ويتكئون عليها ، والاتكاء على السُرر دليل على الرفاهية والراحة ، ليسوا مكلفين بأي عمل ، ينام الواحد على السرير ، يتكئ ، يضطجع ، يجلس كما يشاء ، ليس هناك مَنْ يطالبه بعمل ، أو تكليف . لا ، وقت العمل والدوام والتكليف قد انتهى بانتهاء الدنيا ، فأهل الجنة في نعيم مقيم ، لأن العمل كان في الدنيا ، والجزاء في الآخرة ، فهم الآن يأخذون أجرهم وجزاءهم من الله عز وجل .

﴿ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾ ، التقابل : هو مواجهة الوجوه للوجوه . أي : كلُّ شخص يقابل الآخر ، ويرى وجهه ، ولا يرى قفاه .

هناك مجالس المتقابلين ، ومجالس المتدابرين ، النبي ﷺ نهى عن التدابر ، أي : أن يعطي كلُّ واحد دبره أو ظهره لأخيه ، يُعطي له قفاه ، كأن كلَّ واحد يقول للآخر : لا أريد أن أرى وجهك . إنما المتحابون يتقابلون ويتواجهون : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾ .

(١) إخوانا : جمع أخ ، حال من الضمير في (صدورهم) . أي : ونزعنا ما في صدورهم من غلٍّ ، حالة كونهم إخوانًا متحابين مُتَصَافِينَ ذوي تواصل وتوادٍّ . السرر : جمع سرير ، وهو مجلس عالٍ مُوطأً للسرور عليه دليل الرفعة والكرامة التامة . متقابلين : حالٌ أيضاً : من الضمير المتصل (في صدورهم) .

لا إعياء ولا تعب في الجنة :

﴿ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾

في هذه الآية كلمتان : إحداهما : أنه لا يمسُّ أهل الجنة في الجنة نَصَبٌ : أي إعياء . أو تعب ، لا يتعب من أي شيء ، لا يوجد فيها أي شغل ، بل يأتيهم ما يشتهونه وما يطلبونه فوراً ، وأحياناً بعضهم يطلب شغلاً لِيَتَمَتَّعَ به ، كما ورد في الحديث الصحيح ، عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن النبي ﷺ كان يوماً يحدث - وعنده رجل من أهل البادية - « أن رجلاً من أهل الجنة استأذن ربّه في الزرع ، فقال له : أَلَسْتَ فيما شئتَ ؟ قال : بلى ، ولكنني أحب أن أزرع . قال : فبذر ، فبادر الطرف نباته واستواؤه واستحصاده ، فكان أمثال الجبال . فيقول : الله : دونك يا ابن آدم ، فإنه لا يشبعك شيء » . فقال الأعرابيُّ : والله لا تجده إلا قرشياً أو أنصاريّاً ، فإنهم أصحاب زرع ، وأما نحن فلسنا بأصحاب زرع . فضحك النبي ﷺ^(١) . فلا يوجد في الجنة تعب : ﴿ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ ﴾ .

خلود أهل الجنة :

والكلمة الثانية : يمثلها قوله تعالى : ﴿ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾ أبداً ، فهم غير مُبْعِدِينَ عنها بزوال أو فناء ، أو إقصاء ، ﴿ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُوذٍ ﴾ (هود: ١٠٨) ، لا يقعدون فيها ألف سنة ثم يخرجون ، ولا مليون سنة ، ولا تريليون سنة ، بل خلودٌ للأبد ، ﴿ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُوذٍ ﴾ غير مقطوع ، ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾ (النساء: ٥٧) ، كما قال الله تعالى : ﴿ أَكُلُّهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا ﴾ (الرعد: ٣٥) . ﴿ إِنَّ هَذَا لَرْزُقْنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ﴾ (ص: ٥٤) ، لا ينفد ولا ينتهي ، وهذا من مزايا نعيم الجنة : الخلود الأبدي ، فإن تمام النعمة الخلود .

(١) رواه البخاري في المزارعة (٢٣٤٨) ، وأحمد (١٠٦٤٢) ، عن أبي هريرة .

شرف العبودية :

﴿ نَبِيٌّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿^(١)

ثم قال الله تعالى بعدها ، عن أهل النار وأهل الجنة : ﴿ نَبِيٌّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ .

﴿ عِبَادِي ﴾ ، هنا هل هم المذكورون في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾؟ أم عباده جميعاً ، ومنهم المذكورون في قوله : ﴿ قُلْ يَنْعِبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ﴾ (الزمر: ٥٣) ، حتى الذين أسرفوا على أنفسهم ظلوا عباده سبحانه!! لم يحرمهم من العبودية ، كما يقول في موضع آخر : ﴿ ءَأَنْتُمْ أَضَلُّمٌ عِبَادِي هَتُولَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴾ (الفرقان: ١٧) ، فكلهم عباده .

وأنا أعتقد أن المقصود هنا في الخطاب الجميع : ﴿ نَبِيٌّ عِبَادِي ﴾ ، العصاة والمطيعين ، والمؤمنين والكافرين ، نبيّ الجميع هذه الرسالة ، نبئهم : أي : أخبرهم الخبر الهام ذا الشأن ، فالنبا : هو الخبر الذي له شأن ، ما هو هذا الخبر؟ أو ما هو هذا النبا ؟

توكيدات المغفرة والرحمة : الرحمان

﴿ أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ إِنَّ الجملة الإسمية أوكد من الجملة الفعلية ، والجملة المؤكدة بـ (أَنَّ) أو (إِنَّ) أقوى من الجملة التي ليس فيها (إِنَّ) ولا (أَنَّ) ، وقد جاء بعد قوله تعالى : ﴿ أَنِّي ﴾ الضمير : ﴿ أَنَا ﴾ ضمير الفصل ، مؤكد آخر ، والخبر معرفة ، وهو يفيد الحصر ، ففرق أن تقول : أنا فارس ، أو أن تقول : أنا

(١) في هاتين الآيتين قَصْران : الأول : قصر صفتي الغفور الرحيم على الله ، فلا يتصف بكمال هاتين الصفتين إلا الله وحده . وهو قصر حقيقي من قصر الصفة على الموصوف . الثاني : قصر صفة العذاب الأليم البالغ غاية الإيلام على عذاب الله سبحانه . وهو قصر حقيقي من قصر الصفة على الموصوف . وأداة القصر فيهما تعريف طرفي الإسناد .

الفارس ، فقولك : أنا فارس ، أي : مثلك كثير ، أما قولك : أنا الفارس ، أي : ليس هناك فارس غيري ، ﴿ أَنَا الْغَفُورُ ﴾ . أي : أنى أنا الوحيد الغفور ، كلُّ هذه تأكيدات ، وبعد ذلك ﴿ الْغَفُورُ ﴾ ، لا يقول : الغافر ، لأنَّ الغفور صيغة مبالغة لاسم الفاعل (غافر)، والغفور هو كثير الغفران . والمغفرة : ستر الذنوب في الدنيا ، والتجاوز عنها في الآخرة . وليس هناك ذَنْبٌ يستعصي على المغفرة ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (الزمر: ٥٣) ، كُلُّ ذَنْبٍ حَتَّى الشَّرْكَ يُغْفَرُ بِالتَّوْبَةِ : ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ (الأنفال: ٣٨) .

﴿ أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ ، ورحيمٌ أيضاً صيغة مبالغة لاسم الفاعل (راحم)^(١) ، فلم يقل : أنا الغافر الراحم . ولكن قال : ﴿ أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ ، كل هذه من صيغ المبالغة في القرآن الكريم .

وذكرت كلمة : (الرحيم) في كتاب الله معرفةً أربعةً وثلاثين مرة غير البسملة . إذا حسبنا مائة وثلاث عشرة مرة (بسم الله الرحمن الرحيم) نضيفها إلى الأربعة والثلاثين ، فهذا يشعرك أن مغفرة الله ورحمته تسع كل شيء .
وذكرت كلمة (رحيم) منكرة واحداً وستين مرة ، وذكر (رحيماً) ، عشرين مرة ، فيكون مجموعها مائة وخمسة عشر مرة .

سرُّ ارتباط المغفرة بالرحمة وتقديم المغفرة على الرحمة :

وقُرنت المغفرة مع الرحمة بصيغها المختلفة أربعةً وستين مرةً .
إنَّ مغفرة الله ورحمته تَسَعُ كُلَّ شَيْءٍ ، والغفور هو الذي يَعْفُو عن الذنوب ، ويمحوها ويسترها ، فلا يُبقي لها أثراً ، ولكنَّ الرحيم هو الذي يُعْطِي الثواب .

(١) أي : المبالغ في العطف بالإحسان والإكرام ، ووصفُ الله سبحانه بهذا الوصف مع قصره عليه يدلُّ على أنه لا يوجد ذو رحمة تعادل أو تقارب رحمته رحمة الله بعباده .

الغفور لن ينالك منه العقاب ، والرحيم الذي يُعْطيك الثواب .
المغفرة تخلية ، والرحمة تحلية .

الرحمة حتى تدخل الجنة : ﴿ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (آل عمران: ١٠٧) ،
وفي الجنة كلُّ شيء ، ولذلك قالوا : الجنة فيها رحمة الله ؛ لأنَّ الجنةَ مَظْهَرُ رحمة
الله عزَّ وجلَّ ، فهو رحيمٌ يُعْطِي الجنة ، ولذلك دائماً يُقَدِّمُ المغفرة على الرحمة .
استغفار الأنبياء وطلبهم الرحمة :

سَيِّدُنَا آدَمَ وَزَوْجَهُ حِينَمَا شَعَرَا بِخَطِيئَتَهُمَا قَالَا : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ
تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (الأعراف: ٢٣) .

وسَيِّدُنَا نُوحٍ قَالَ : ﴿ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (هود: ٤٧) .

وسَيِّدُنَا مُوسَى قَالَ : ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ
أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ (الأعراف: ١٥١) ، ﴿ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلِ وَإِثْنِي
أُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْأُسْفَهَاءُ مِنَّا إِنَّ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن
تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴾ (الأعراف: ١٥٥) .

وقومه بعد أن علموا بضلالهم باتخاذهم العجل قالوا : ﴿ لَيْن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا
وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (الأعراف: ١٤٩) .

والرسول محمد ﷺ يقول كما أمره ربه : ﴿ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ
الرَّاحِمِينَ ﴾ (المؤمنون: ١١٨) .

والمؤمنون يقولون في دعائهم : ﴿ وَأَعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا
فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (البقرة: ٢٨٦) ، ﴿ رَبَّنَا إِنَّا أَمْنَا فَاغْفِرْ لَنَا
ذُنُوبَنَا وَقْنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (آل عمران: ١٦) ، ﴿ رَبَّنَا أَمْنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ
خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴾ (المؤمنون: ١٠٩) اغفر لنا وارحمنا ، فالمغفرة مقرونة بالرحمة ،
والرحمة مسبوقه بالمغفرة ، فنحن دائماً نطلب المغفرة والرحمة .

فتح باب الأمل والجمع بين الخوف والرجاء :

﴿ نَبِيٌّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ ، وبهذا يُرَجِّي الناس ، يفتح لهم باب الرجاء والأمل ، حتى لا ييأسوا من رَوْحِ الله : ﴿ وَلَا تَأْيِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْيِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (يوسف: ٨٧) ، ولا يقنطوا من رحمة الله : ﴿ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (الزمر: ٥٣) ، ﴿ قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴾ (الحجر: ٥٦) .

فهذا هو الرجاء ، ثم يأتي بعد ذلك بما يفيد الخوف ، ليجتمع الرجاء والخوف : ﴿ نَبِيٌّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿ : لا يَغُرَّتْكُمْ مَغْفِرَتِي وَرَحْمَتِي ، فَتَتَّكِلُوا عَلَيْهَا ، وَتَفْعَلُوا مَا فَعَلَ الْيَهُودِ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ عَنْهُمْ : ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلَهُ يَأْخُذُوهُ ﴾ (الأعراف: ١٦٩) ، لا تَتَّكِلُوا عَلَى الْمَغْفِرَةِ ، لا بد أن تخافوا أيضاً من بطشي ومن عذابي .

مؤكِّدات العذاب الأليم وتغليب جانب الرجاء :

وعذاب الله ليس عذاباً هيناً : ﴿ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴾ ، فانظر إلى هذه المؤكِّدات : ﴿ أَنْ ﴾ ، وإضافة العذاب إلى الله عز وجل : ﴿ عَذَابِي ﴾ ، وضمير الفصل : ﴿ هُوَ ﴾ ، ووصف العذاب بأنه : ﴿ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴾ ، أي : المؤلم المُوْجِع . فكلُّ هذه مؤكِّدات تدلُّ على شدة العذاب .

ولكن نجد فرقاً بين الصفتين ، الأولى : ﴿ نَبِيٌّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ ، فجعل المغفرة والرحمة من أسمائه وصفاته : ﴿ أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ ، . ولم يقل هنا : وأنِّي أَنَا الْمُعَذِّبُ . لا يوجد من أسمائه الحسنَى : الْمُعَذِّبُ .

فهناك ذَكَرَ الأَسْمَاءَ ، وهنا ذَكَرَ الأَفْعَالَ ، ﴿ وَأَنَّ عَذَابِي ﴾ ، فالعذاب من أفعاله ، والمغفرة والرحمة من أسمائه وصفاته ، وفرقٌ بين الفعل وبين الاسم والصفة .

﴿ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴾ ، وهذا يدلنا على أَنَّ الرجاء أغلب ، وعلى أَنَّ رحمة الله أثبت وأوسع ، فقد سبق قوله : ﴿ أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ على قوله : ﴿ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴾ .

وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لما قضى الله الخلق ، كتب في كتاب ، فهو عنده فوق العرش : إن رحمتي غلبت غضبي »^(١) .

التوازن بين الرجاء والخوف :

وبهذا علينا أن نخافَ عذابَ الله ، كما نرجو رحمته ، ونطمع في جنَّته ، ونخشى عذابه ، كما وصف الله بعضَ عباده الصَّالحين ، فقال : ﴿ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ﴾ (الإسراء: ٥٧) ، وكما وصف الإنسان المؤمن ، فقال : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَنِيتُ ءِآثَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ ﴾ (الزمر: ٩) ، يحذر من ناحية ، ويرجو من ناحية أخرى ، وبذلك يكون الإنسان في حالة توازن بين الرجاء والخوف ، فلا يغلب عليه الرجاء حتى يأمن مكر الله : ﴿ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (الأعراف: ٩٩) ، ولا يغلب عليه الخوف حتى ييأس من رَوْحِ الله : ﴿ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (يوسف: ٨٧) ، وإنما يكون دائماً بين الخوف والرجاء ، وهذا شأن الإنسان المؤمن .

وقد شبه الإمام الغزالي^(٢) النفس البشرية بالدابة ، أحياناً تكون دابةً حروناً ، تحتاج أحياناً إلى بعض الخضروات والبرسيم لكي يسوقها ، وتحتاج أحياناً إلى العصا ، فكذلك النفس تحتاج إلى الرجاء والخوف ، وأن تكون في حالة توازن ،

(١) متفق عليه : رواه البخاري في بدء الخلق (٣١٩٤) ، ومسلم في التوبة (٢٧٥١) ، كما رواه أحمد (٧٥٠٠) ، والنسائي في الدعوات (٧٧٠٣) .

(٢) في كتابه منهاج العابدين ص ١٦٧ .

وهذا ما تفيدُه هذه الآية الكريمة : ﴿ نَبِيَّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿ ، ومثلها آيات كثيرة في القرآن الكريم : ﴿ غَافِرٍ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ ﴾ (غافر: ٣) ، وقوله : ﴿ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (المائدة: ٩٨) ، ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (الرعد: ٦) ، ﴿ وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ ﴾ (الحديد: ٢٠) ، ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَنِيتٌ ءَأَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ ﴾ (الزمر: ٩) .

وهكذا يجمع القرآن بين الخوف والرجاء ، وبين ما يجلب الخوف وما يجلب الرجاء ، ليكون الإنسان المؤمن في حالة توازن ، ويسير في طريقه إلى الله راغباً في الخير ، راغباً عن الشرِّ ، مُريداً لرضوان الله تعالى ، مبتغياً الجنة ومثوبة الله ، حذراً من النار وعذاب الله .

نسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلنا من عباده الْمُخْلِصِينَ ، وأن يجعلنا من عباده الْمُخْلِصِينَ ، وأن يجعلنا من سُكَّانِ الفردوس الأعلى ، إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبٌ .